# أثارة من تاريخ العرب
## في الاندلس

تنبئ عن هدي الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله ؛ وجمعه بين الدين والدنيا، ومكانة علماء الدين في عهده ،وقبوله منهم الاغلاظ في وعظه، — وعن سيرة قضاة العدل وعلماء الآخرة ، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ، ولا يخافون في الحق صولة حاكم ، على ورع يزينه ظرف ولطف ، ودعابة لا مهانة فيها ولا سخف ، يتمثل ذلك كله في ترجمة الوزير الفتح بن خاقان للقاضي البلوطي في كتابه مطمح الانفس، ومسرح التأنس ، في ملح أهل الاندلس . قال عفا الله عما تكلف من إبداع ، وما صنعه من اسجاع :

( الفقيه القاضي أبو الحسن منذر بن سعيد البلوطي رحمه الله تعالى )

اية حركة في سكون ، وبركة لم تكن معدة ولا تكون ! واية سفاهة في تحلم، وجهامة ورع في طي تبسم ! اذا جد تجرد، واذا هزل نزل، وفي كلتا الحالتين لم ينزل للورع عن مرقب ، ولا اكتسب إثما ولا احتقب ؛ ولي قضاء الجماعة بقرطبة أيام عبد الرحمن ، وناهيك من عدل أظهر ، ومن فضل اشتهر ، ومن جور قبض ، ومن حق رفع، ومن باطل خفض؛ وكان مهيبا طيبا صارما غير جبان ولا عاجز ولا مراقب لاحد من خلق الله في استخراج حق ورفع ظلم. واستمر في القضاء الى ان مات الناصر لدين الله، ثم ولي ابنه الحكم فأقره وفي خلافته توفي، بعد ان استعفى مرارا فما أعفي ، فلم يحفظ عليه مدة ولايته قضية جور، ولا عدت عليه في حكومته زلة. وكان غزير العلم كثير الادب ، متكلما بالحق، متبينا بالصدق ، له كتب مؤلفة في السنة والقرآن والورع، والرد على أهل الاهواء والبدع ؛ وكان خطيبا بليغا، وشاعرا محسنا. ولد سنة ثلاث وعشرين ( ومائتين ) عند ولاية المنذر بن محمد. وتوفي يوم الخميس

لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

﴿ ومن شعره في الزهد ﴾

كم تَصابى وقد علاك المشيب ... وتعامى عمدا وانت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير ... ان يوم الحمام منك قريب
ياسفيها قد حان منه رحيل ... بعد ذاك الرحيل يوم عصيب
ان للموت سكرة فارتقبها ... لا يداويك ان أتتك طبيب
كم ترانى[1] حتى تصير رهينا ... ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت علىم ... فاعملن جاهدا لها يارتيب
وتذكر يوما تحاسب فيه ... ان من يدّ كر فسوف ينيب
ليس من ساعة من الدهر الا ... المنايا عليك فيها رقيب

## الخطابة في الاحتفالات الرسمية

وذكر ان أول سببه في التعلق في الناصر لدين الله ، ومعرفته به وزلفاه ، ان الناصر لما احتفل لدخول رسول ملك الروم وصاحب القسطنطينية بقصر قرطبة الاحتفال الذي اشتهر ذكره ، وانبهر أمره ، أحب أن تقوم الخطباء والشعراء بين يديه تذكر جلالة مقعده ، ووصف ماتهيأ له من توطد الخلافة ورمي الملوك بآمالها ، وتقدم الى الامير الحكم ابنه باعداد من يقوم لذلك من الخطباء ، ويقدمه امام نشيد الشعراء ،[2] فتقدم الحكم الى أبي علي البغدادي[3] ضيف الخلافة وأمير الكلام ، وبحر اللغة ان يقام ، فقام رحمه الله وأثنى على الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم . ثم انقطع ، وبهت فماوصل الا قطع ، ووقف ساكتا متفكرا ، وتشوف لاناسيا ولا متذكرا

(١) كذا وربما كان الاصل « كم توانى » (٢) يعلم من هذا أن عادتهم في الاحتفالات كعادة أهل هذا الزمان في الخطابة . وكان منظم هذا الاحتفال الحكم ولي عهد الخليفة (٣) فيه أن وحدة الأمة ما كانت تمنع في ذلك الزمن تقديم القريب عن البلاد على أمثاله من أهلها اذا كان أهلا وان كان تابعا لحكومة أخرى ، ولا يكون مثل هذا في مصر الآن ، لان التعصب للبلاد أضعف وحدة الامة

ارتجال العلماء الخطابة حتى في السياسة

فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام بذاته ، بدرجة من مرقاته ، فوصل افتتاح أبي علي البغدادي بكلام عجيب ، ونادى من الاحسان في ذلك المقام كل مجيب ، وقال: اما بعد فان لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقال ، وليس بعد الحق الا الضلال . واني قد قمت في مقام كريم ، بين يدي ملك عظيم ، فاصغوا لي بأسماعكم ، وامنوا عليّ بأفئدتكم ، معاشر الملأ ! ان من الحق ان يقال للمحق صدقت. وللمبطل كذبت، وان الجليل تعالى في اسمائه وتصدق بصفاته(١) أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين ان يذكر قومه بنعم الله عز وجل عندهم، وأنا أذكركم نعم الله تعالى عليكم، وتلافيه لكم، بخلافة أمير المؤمنين التي امنت سربكم، ورفعت خوفكم، وكثر قليلا فكثركم ، ومستضعفين قواكم، ومستذلين فنصركم، ولاه الله رعايتكم ، وأسند اليه امامتكم ، أيام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق ، واحاطت بكم تشعل النفاق ، حتى صرتم في مثل حدقة البعير، مع ضيق الحال ونكد العيش والتغيير ، فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء ، وانتقلتم بيمن سياسته الى كنف العافية بعد استيطان البلاء ، ناشدتكم يامعشر الملأ ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها ، والسبل مخوفة فأمنها ، والاموال منتهبة فأحرزها وحصنها ؟ ألم تكن البلاد خرابا فعمرها ، وثغور المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها ؟ فاذكروا آلاء الله عليكم بخلافته ، وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بامامته ، حتى اذهب عنكم غيظكم، وشفى صدوركم، وصرتم يدا على عدوكم، بطوية خالصة، وبصيرة ثابتة وافرة، فقد فتح الله عليكم أبواب البركات، وتواترت عليكم أسباب الفتوحات، وصارت وفود الروم وافدة عليكم ، وآمال الاقصين والادنين اليكم ، يأتون من كل فج عميق، وبلد سحيق، ولا أحد يحيل بينه وبينكم ليقضي الله أمرا كان مفعولا. ولن يخلف الله وعده ، ولهذا الامر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة تدل على أمور باطنة، دليلها قائم، وغيبها عالم ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم،

(١) لعل الاصل وتقدس بصفاته

وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا ) وليس في تصديق ما وعد الله عز وجل ارتياب ، ولكل نبأ مستقر ولكل أجل كتاب ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، وسلوه المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين أيده الله تعالى بالعصمة والسداد ، وألهمه بخالص التوفيق سبيل الرشاد ، فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لامامكم ، والتزام الطاعة لخليفتكم ، وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فان من نزع يده من طاعة ، وسعى في فرقة الجماعة ، وفر من الديانه ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، الا ذلك هو الخسران المبين . وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين ، وصنوف الملحدين ، الساعين في شق عصاكم ، وتفريق ملتكم ، وهتك حرمتكم ، وتوهين دعوة نبيكم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين والمرسلين ؛ أقول قولي هذا والحمد لله رب العالمين . وأنشد يقول

مقال كحد السيف وسط المحافل ... فرقت به ما بين حق و باطل
بقلب ذكي ترتمي جنباته ... كبارق رعد عند نقش الانامل
فما دحضت رجلي ولا زل مقولي ... ولا طار عقلي يوم تلك البلابل
بخير امام كان أو هو كائن ... لمقبل أو في العصور الاوائل
وقد حدقت نحوي عيون إخالها ... كمثل سهام اثبتت في المقاتل
ترى الناس أفواجا يؤمون داره ... وكلهم ما بين راض وآمل
وفود مليك الروم وسط فنائه ... مخافة بأس أو رجاء لسائل
فعش سالما اقصى حياة معمر ... فأنت غياث كل حاف وناعل

فقال العلج: هذا والله كبش الدولة. وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه، وثبات جنانه ، و بلاغة لسانه

## خطبة ارتجالية قربت عالما من الخليفة

وكان الخليفة الناصر لدين الله أشد تعجبا منه واقبل على ابنه الحكم ولم يكن يثبت معرفة عينه ، وقد سمع باسمه ، فقال الحكم : هذا منذر بن سعيد البلوطي؛ فقال والله لقد أحسن ما أنشأ ، (١) ولئن ابقاني الله تعالى لأرفعن من ذكره ، فضع

(١) لعل الاصل : أحسن ما شاء

يدك ياحاكم واستخلصه وذكرني بشأنه، فما للصنيعة مذهب عنه، فلما انتهى الناصر الى الجامع بالزهراء ولاه الصلاة فيها والخطبة . ثم توفي محمد بن عيسى القاضي فولاه قضاء الجماعة بقرطبة وأقره على الصلاة بالزهراء

جهر القاضي بانكار اسراف الخليفة

وكان الخليفة الناصر كلفا بعمارة الارض، واقامة معاملها، وتكثير مياهها، واستجلابها من أبعد بقاعها، وتخليد الآثار الدالة على قوة ملكه، وعزة سلطانه وعلو همته، فافضى به الاغراق في ذلك الى ابتناء مدينة الزهراء الشائع ذكره، الذائع خبره، المنتشر في الارض أثره، واستفرغ وسعه في تنجيدها واتقان قصورها وزخرفة مصانعها؛ فانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذه، فاراد القاضي منذر بن سعيد رحمه الله وجه الله في أن يعظه ويقرعه في التأنيب، ويقص منه بما يتناوله من الموعظة بفصل الخطابة، والتذكير بالانابة

فابتدأ أول خطبته بقوله تعالى ( أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون * واذا بطشتم بطشتم جبارين * فاتقوا الله وأطيعون * واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون * أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون * اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ) ووصل ذلك بكلام جزل، وقول فصل، جاش به صدره، وقذف به على لسانه بحره، وأفضى في ذلك الى ذم المشيد والاستغراق في زخرفته، والسرف في الانفاق عليه، فجرى في ذلك طلقا، وتلا في ذلك قوله تعالى ( أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين * لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ) وأتى بما شاكل المعنى من التخويف للموت والتحذير منه، والدعاء الى الله عز وجل في الزهد في هذه الدنيا الفانية والحض على اعتزالها، والتبيين لظاهر معانيها، والترغيب في الآخرة وباقيها، والتقصير عن طلب الدنياء ونهي النفس عن اتباع الشهوات، وتلا من القرآن العظيم ما يوافقه، وجلب من الحديث والاثر ما يشاكله ويطابقه، حتى بكى الناس وخشعوا وضجوا وتضرعوا، وأعلنوا الدعاء الى الله تعالى

فعلم الخليفة أنه المقصود به، والمتعمد بسببه، فاستجدى وبكى، وندم على ماسلف منه من فرطه، واستعاذ بالله من سخطه، واستعصمه برحمته؛ الا أنه وجد على منذر بن سعيد للفظه الذي قرعه به، فشكا ذلك الى والده الحكم بعد انصرافه، وقال: والله لقد تعمدني منذر بخطبته، وأسرف في ترويعي، وأفرط في تقريعي، ولم يحسن السياسة في وعظي وصيانتي عن توبيخه، ثم استشاط، وأقسم أن لا يصلي خلفه الجمعة ابداً، فقال له الحكم: وما الذي يمنعك عن عزل منذر بن سعيد والاستبدال به؟ فزجره وانتهره، وقال: أمثل منذر بن سعيد في فضله وورعه وعلمه وحلمه لا أمّ لك يعزل في ارضاء نفس ناكبة عن الرشد، سالكة غير القصد؟ هذا ما لا يكون، واني لأستحيي من الله تعالى أن لا أجعل بيني وبينه شفيعا في صلاة الجمعة مثل منذر بن سعيد، ولكنه وقذ نفسي وكاد يذهبها والله لوددت أن أجد سبيلا الى كفارة يميني بملكي، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا فما أظننا نعتاض منه أبدا.

*

وعذله قوم من اخوانه لتكنيته لرجل كان يسبه فقال:

لا تعجبوا من أنني كنيته ... من بعد ما قد سبنا وهجانا
فالله قد كنى أبا لهب وما ... كناه الا خزية وهوانا

﴿ ومن قوله في الزهد ﴾

ثلاث وستون قد حزتها ... فماذا تؤمل أو تنتظر
وحل عليك نذير المشيب ... فما ترعوى بل وما تزدجر
تمر لياليك مرًّا حثيثا ... وأنت على ما أرى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضي ... من العمر ما اعتضت خيرا بشر
فمالك لا تستعد اذاً ... لدار المقام ودار المقر
أترغب في فجأة المنون(؟) ... وتعلم ان ليس منها وزر
فاما الى جنة أزلفت ... واما الى سقر يستمر

استسقاء القاضي بالناس مع الخليفة

وقحط الناس في بعض السنين آخر مدة الناصر لدين الله أمير المؤمنين فأمر

القاضي منذر بن سعيد بالبروز الى الاستسقاء، فأهب لذلك وصام بين يديه ثلاثة أيام تنفلا وانابة واستجداء ورهبة ، واجتمع الناس له في مصلى بقرطبة بارزين الى الله تعالى في جمع عظيم، وصعد الخليفة الناصر في أعلى مصانع القصر المشرفة ليشرك الناس في الدعاء الى الله تعالى والضراعة — فلما سرح طرفه في ملإ الناس وقد شخصوا اليه بأبصارهم قال :

ياأيها الناس — وكررها مشيرا بيده في نواحيهم — ثم قال ( سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم — أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد * ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز ) فضج الناس بالدعاء وارتفعت الاصوات بالاستغفار والتضرع الى الله تعالى بالسؤال والرغبة في ارسال الغيث ، ووصل الحال[1] ومضى على تمام خطبته، فافزع النفوس بوعظه، وانبعث الاخلاص بتذكيره ، فما أتم خطبته حتى بلاهم الغيث

وذكروا ان الخليفة الناصر لدين الله جاء غداة ذلك اليوم، فحركه للخروج وذكر له عزمه عليه، والسابقون مسابقون الى المصلى، فقال للرسول — وكان من خواص حلفاء الصفاء اليه: ياليت شعري! ما الذي يصنعه الخليفة سيدنا؟ فقال له مارأينا قط أخشع منه في يومنا هذا، انه لمنتبذ حاثر منفرد بنفسه لابس أخشن الثياب، مفترش التراب، قد رمى به على رأسه وعلى لحيته، وبكى واعترف بذنوبه وهو يقول : هذه ناصيتي بيدك، أتراك تعذب الرعية وأنت أحكم الحاكمين لن يفوتك شيء مني؟[2] قال فتهلل وجه القاضي منذر بن سعيد عند ماسمع من قوله، وقال ياغلام ! احمل المطر[3] معك فقد أذن الله تعالى بالسقيا اذا خشع جبار الارض فقد رحم جبار السماء ، وكان كما قال فلم ننصرف الا عن السقيا

(١) لعل الاصل : ووصل الكلام (٢) إنما لم يقل وانت أرحم الراحمين مع كونه المناسب لمقام الاستسقاء ، لأن مراده اتعذب الرعية بذنبي اذ انا حاكمهم، وانت الحاكم علي وعليهم، لو شئت ان تعاقبني على ذنوبي فيهم لفعلت ، واذ عاملتني بالرحمة والفضل فالرعية أولى بذلك . هذا مراده قطعا

(٣) المطر الثوب الذي يتقى به المطر

*

## استقلال القضاء و إيثار القاضي مصلحة اليتيم على رغبة الخليفة

قال وكان القاضي منذر بن سعيد من ذوي الصلابة في احكامه والمهابة في أقضيته، وقوة القلب في القيام بالحق في جميع مايجرى على يديه، لا يهاب في ذلك الامير الاعظم فمن دونه. ومن مشهور ماجرى له في ذلك قصته المشهورة في ايتام أخي نجدة، حدثني بها جماعة من أهل العلم والرواية. وهي ان الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد احتاج الى شراء دار بقرطبة لحظية من نسائه تكرم عليه ، فوقع استحسانه على دار كانت لاولاد زكريا أخي نجدة كانت بقرب النشارين في الربض الشرقي منفصلة عن دور يتصل بها حمام العامة له غلة واسعة، وكان أولاد زكريا أيتاما في حجر القاضي، فارسل الخليفة له من قيمتها بعددٍ ماطابت به نفسه ، وأرسل ناسا وأمرهم بمداخلة وصي الايتام في بيعها عليهم ،فذكر انه لايجوز الا بامر القاضي،اذ لم يجز بيع الاصل الا عن رأيه ومشورته، فارسل الخليفة الى القاضي منذر في بيع هذه الدار ، فقال لرسوله البيع على الايتام لايصح الا لوجوه — منها الحاجة، ومنها الوهي الشديد[1] ومنها الغبطة[2] فاما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الايتام الى البيع، واما الوهي فليس فيها ، وأما الغبطة فهذا مكانها ، فان أعطاهم أمير المؤمنين فيها مايستبين به الغبطة، أمرت وصيهم بالبيع والا فلا. فنقل جوابه هذا الى الخليفة فاظهر الزهد في شراء الدار طمعا أن تتراخى رغبته فيها ، وخاف القاضي أن تنبعث منه عزيمة تلحق الاولاد سورتها ، فامر وصي الايتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ففعل ذلك ، وباع الانقاض وكانت لها قيمة با كثر مما قومت به للسلطان ، فاتصل الخبر به فغر عليه خرابها، وأمر بتوقيف الوصي على ماأحدثه فيها ،فأحال الوصي على القاضي انه أمره بذلك ، فارسل عند ذلك للقاضي وقال له: أنت أمرت بنقض دار أخي نجدة ؟ فقال له نعم، قال له وما دعاك الى ذلك؟ قال أخذت فيها بقول الله تبارك وتعالى ( أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم

(١) الضعف كأن تكون الدار متداعية (٢) الغبطة تحقق بما فيه مصلحة الايتام وهو الزيادة على ثمن المثل

ملك يأخذ كل سفينة غصبا ) فمقوّمك لم يقدرها الا بكذا وبذلك تعلق وهمك فقد نص في أنقاضها أكثر من ذلك [١] وبقيت الدار والحمام فضلا . ونظر الله تعالى للايتام . فصبر الخليفة على ماأتى من ذلك، وقال نحن أول من انقاد الى الحق فجزاك الله تعالى عنا وعن امانتك خيرا

الوقار والديانة، مع الظرف والدعابة

قال وكان على متانته وجزالته حسن الخلق كثير الدعابة فربما ساء ظن من لا يعرفه حتى اذا رام أن يصيب من دينه شعرة ثار عليه ثورة الاسد الضاري

فمن ذلك ماحدث به سعيد ابنه قال قعدنا ليلة من ليالي شهر رمضان المعظم مع أبينا للافطار بداره البرانية فاذا بسائل يقول ياأهل هذه الدار الصالحين أطعمونا من عشائكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنة هذه الليلة ،وأكثر من ذلك . فقال القاضي ان استجيب لهذا السائل فيكم فليس يصبح منا واحد

وحكى عنه قاسم بن أحمد الجهني انه ركب يوما لحيازة أرض محبسة في ركب من وجوه الفقهاء وأهل العدالة فيهم أبو ابراهيم اللؤلؤي، قال فسرنا نتفوه وهو أمامنا وامامه امامه يحملون خرائطه [٢] وعلى ذويه السكينة والوقار ، وكانت القضاة حينئذ لاتراكب ولا تماشي [٣] فعرض له في بعض الطريق كلاب مستوحمة وهي تلهق منها وتدور حوله، فوقف وصرف وجهه الينا وقال : ترون يا أصحابنا ما أبر الكلاب بالمن الذي تلهقه وتكرمه ونحن لا نفعل ذلك !! ثم لوى عنان دابته وقد أضحكنا وبقينا متعجبين من هزله

وحضر عند الحكم المستنصر بالله يوما في خلوة له في بستان الزهراء على بركة

---

(١) يريد ان الذي قوم الدار للخليفة حاباه وهو يتوهم أنه قومها بما تساوي مع أن ثمن انقاضها وحده قد زاد على ذلك ، وهو يريد أكثر مما تساوي لمصلحة الايتام

(٢) لعل أصله: وأمامه خدمه فاطع والخرائط أوعية من الجلد أو غيره لها عرى تشد وتربط على مايوضع فيه من المتاع واحدها خريطة

(٣) أي كانوا يتقدمون الناس فلا يركب ولا يمشي معهم أحد مساويا لهم

ماء طافحة ، وسط روضة نافحة ، في يوم شديد الوهج، وذلك إثر منصرفه من صلاة الجمعة، فشكا الى الخليفة من وهج الحر الجهد ، وبث منه مايجاوز الحد ، فامره بخلع ثيابه والتخفف من جسمه، ففعل ولم يطفئ ذلك مابه، فقال له : الصواب ان تنغمس في وسط الصهريج انغماسة يبرد بها جسمك ، ولم يكن مع الخليفة الا الحاجب جعفر الخادم الصقلبي أمينه والحكم لارابع لهم ، فكانه استحيا من ذلك ، وانقبض عنه وقارا ، واقصر عنه إقصارا ، فأمر الخليفة حاجبه جعفرا بسبقه بالنزول في الصهريج ليسهل الأمر فيه على القاضي ، فبادر جعفر لذلك وألقى بنفسه في الصهريج وكان يحسن السباحة ، فجعل يجول يمينا وشمالا، فلم يسع القاضي الا انفاذ أمر الخليفة، فقام وألقى بنفسه خلف جعفر، ولاذ بالقعود في درج الصهريج ، وتدرج فيه بعض تدريج ، ولم ينبسط في السباحة ، وجعفر يمر مصعدا ومصوبا، فدسه الحكم على القاضي وحمله على مساجلته في العوم — فهو يعجزه في إخلاده الى القعود، ويعاتبه بإلقاء الماء عليه ، والاشارة بالجذب اليه ، وهو لاينبعث معه، ولا يفارق موضعه ، الى ان كلمه الحكم وقال له مالك لاتساعد الحاجب في فعله وتقفز معه ، وتقيل صنعه ، فمن أجلك نزل ، وبسببك تبذل ؟ فقال له يا سيدي ياأمير المؤمنين الحاجب سلمه الله لا هوجل[1] معه وانا بهذا الهوجل الذي معي يعقلني ويمنعني من أن أجول معه مجاله. فاستفرغ الحكم ضحكا من نادرته ولطيف تعريضه لجعفر، وخجل جعفر من قوله وسبه سب الاشراف . وخرجا من الماء وأمر لهما الخليفة بخلع ووصلهما بصلات سنية تشاكل كل واحد منهما

وذكر ان الخليفة الحكم قال له يوما لقد بلغني انك لاتجتهد للايتام وانك تقدم لهم أوصياء سوء يأكلون أموالهم. قال نعم وان أمكنهم . . .أمهاتهم لم يعفوا عنهن؟

---

(١) الهوجل الانجر الثقيل الذي ترسى به السفينة ، وفي العبارة من حسن الاستعارة ونزاهة التعريض ماترى ، هذا وقد خجل منه الحاجب وغضب حتى انه لم يملك لسانه أن سب القاضي والاشراف على مسمع من الخليفة ! وناهيك بهذا برهانا على نزاهة حاشية الخليفة وبعدهم عن المجون والخلاعة ، وعلى دقة ذلك الاعجمي الاصل في فهم اللغة العربية .

قال وكيف تقدم مثل هؤلاء قال لست أجد غيرهم ولكن احلني على اللؤلؤي وأبي ابراهيم ومثل هؤلاء فان أبوا جبرتهم بالسوط والسجن ثم لاتسمع الا خيرا

## انكار القاضي على الخليفة وانصاف الناصر وقوة دينه

ومن اخبار منذر بن سعيد المحفوظة مع الخليفة عبد الرحمن في انكاره عليه الاسراف في البناء — ان عبد الرحمن كان قد اتخذ الى السطح العتبة الصغرى التي كانت مائلة الى الصرح الممرد المعروف بقصر الزهراء المشهور بان له قرامد ذهب وفضة أنفق عليها مالا جسيما وجعل سقفها صفراء فاقعة ، الى بيضاء ناصعة ، تسلب الابصار بمطارح أنوارها المشعشعة ، وجعل فيها إثر إتمامها لاهل مملكته مشهدا فقال لقرابته ومن حضره من الوزراء وأهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك مع مايتصل به من البدائع الفتانة : هل رأيتم قبلي أو سمعتم من فعل مثل فعلي هذا أو قدر عليه ؟ فقالوا لا والله ياأمير المؤمنين ، انك لأوحد في شأنك كله ، ولا سبقك في مبتدعاتك هذه ملك رأيناه ولا انتهى الينا خبره ، فابهجه قولهم

وبينا هو كذلك سارٌّ ضاحك اذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد واجما ناكسا ذقنه ، فلما أخذ محله قال له كالذي قال لوزرائه من ذكر السقف واقتداره على ابداعه ، فجرت دموع القاضي تتحدر على لحيته ، وقال والله يا أمير المؤمنين ما ظننت ان الشيطان أخزاه الله يبلغ بك هذا المبلغ ولا ان تمكنه من قيادك هذا التمكين ، مع ما آتاك الله وفضلك على العالمين ، حتى أنزلك منزل الكافرين !! قال فاقشعر عبد الرحمن من قوله ، وقال انظر ما تقول ! كيف أنزلني منازلهم ؟ قال نعم أليس الله تبارك وتعالى يقول ( ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون * ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ) قال فوجم الخليفة ونكس رأسه مليا ودموعه تجري على لحيته خشوعا لله تبارك وتعالى ، وندما اليه ، ثم أقبل على منذر وقال له : جزاك الله تعالى يا قاضي خيرا عنا وعن المسلمين والدين ، وكثر في الناس أمثالك ، فالذي قلت هو والله الحق . وقام من مجلسه ذلك وهو يستغفر الله تعالى ، وأمر بنقض سقف القبة وأعاد قرامدها ترابا اهـ